العربية والقنوات الفضائية

الأستاذ جورج صدقني

عضو المجمع

بين يدي البحث:

لعله من المناسب أن نبيِّن، منذ البداية، حدود المسألة التي نتناولها بالبحث، وأوجز ذلك في عدد من الملاحظات، هي:

١ ـ يزعم نفر غير قليل من الناس أن العربية الفصحى لا تصلح لغةً لوسائل الثقافة والإعلام، كلها أو بعضها، أو تصلح في جوانب منها دون غيرها، أو يزعمون أن اللهجات المحلية (أو القطرية) أصلح. وسنحاول أن نبين مدى تهافت هذه المزاعم.

٢ ـ إذا كنا بين خيارين في مجال الإعلام: الأول هو «تعزيز» العربية السليمة القريبة من أفهام الجمهور وتغليبها على اللغة المحكيّة المحلية، والثاني هو «مكافحة» اللهجات المحليّة، فإنني أميل إلى اختيار الأول، لأن الثاني يكاد يكون ضرباً من المحال، كما سنبيِّن في حينه.

٣ ـ المجال الإعلامي، الذي سينصبّ عليه هذا البحث هو القنوات الفضائية، وسيظل بحثنا ضمن هذه الحدود، لايتجاوزها إلى المجالات الإعلامية الأخرى، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك.

٤ ـ الكلام على الإعلام في هذا البحث يقصد الإعلام العربي في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جميع الأقطار العربيّة، ولايعني الإعلام في قطر عربي بذاته، إلا إذا ذكر بالتحديد.

٥ ـ الدور القومي الذي ينهض به الإعلام، ولاسيما في القنوات الفضائية، هو شاغلنا الأساسي، وهاجسنا الأول في هذا البحث.

التلفزة بين الفصحى واللهجات المحلية:

يزعم كثيرون أن العربية الفصحى لاتصلح للتلفزة بوجه عام، والكثرة الكاثرة من هؤلاء تقف موقفاً فيه قدر من «الاعتدال»، فلا يرون بأساً من استعمال الفصحى في نشرات الأخبار، ومن معارضي استعمال الفصحى نفر آخر يفرط في المبالغة، فلا يرى مكاناً للفصحى في البث التلفزي على الإطلاق، ولا يسمح هذا النفر للفصحى بالتسلل إلى حرم التلفزة إلا مكرهاً أو على مضض.

ولم ينشأ هذا الموقف السلبي من استعمال العربية الفصحى مع نشوء التلفزة، بل هو موقف قديم ومعروف وشامل، لم يَدَع أي مجال من المجالات الثقافية والإعلامية دون أن يشمله بنقده لاستعمال الفصحى وبيان عيوبه، والدعوة إلى استعمال اللغة المحكية بدلاً منها.

ففي مجال المسرح قال معارضو الفصحى إن هذه قد تصلح للتأليف المسرحي، أو للمسرحيات في الكتب المعدَّة للقراءة والمطالعة وحسب. أما المسرحيات التي تمثَّل على خشبة المسرح، فلا تصلح لها إلا لغة الشعب، لغة عامة الناس، لأن الممثلين يكونون في أمس الحاجة، وهم يخوضون غمار التمثيل، إلى توليد شرارة التواصل مع الجمهور. والفصحى ـ في رأيهم ـ عاجزة عن توليد هذا التواصل الشعوري، على العكس من اللغة المحكيّة أو اللهجة المحلية التي ألفها الجمهور.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد كان تيار معارضة الفصحى في مجال التمثيل المسرحي قوياً جداً، حتى إن لغة الكتابة المسرحيّة غدت مشكلة عويصة عند معظم كتّاب المسرح، سواء أكان الكاتب مغموراً أم مشهوراً، فكان بعض كبار فرسان الكتابة للمسرح كمن أصيب بالحيرة، فلا يدري بأي لغة يكتب، بالفصحى أم بالمحكيَّة. مثال ذلك الكاتب الكبير توفيق الحكيم، الذي ألّف عدداً من المسرحيات باللهجة المصرية، مثل مسرحيّة (الزَمّار)، ومسرحيّة (رصاصة في القلب) وغيرهما، وإن كان قد كتب مسرحيّات كثيرة بالفصحى. وقد ابتكر الحكيم، في مرحلة من مراحل حياته الأدبية، لغةً مسرحيّة للكتابة والتمثيل معاً، تقع بين الفصحى والعاميّة في منزلة بين منزلتين، وجرَّبها في مسرحيته التي عنوانها (الصفقة). ولغة (الصفقة) تبدو لك للوهلة الأولى أنها مكتوبة باللهجة المصرية، ولكن بوسعك ـ إذا شئت ـ أن تقرأها بالفصحى أيضاً، فهي مكتوبة بلغة عامة الناس في مصر مقرَّبة من الفصحى، أو هي فصحى غير بعيدة عن لغة العامة.

أما مجال القصة والرواية، فقد برز فيه تيّار يدّعي أن استعمال الفصحى لغةً للحوار، سواء في القصة أو في الرواية، فيه قدر كبير من الصنعة والتكلف. بل إن بعضهم دعا صراحة إلى معاملة الحوار معاملة خاصة، فإن لم يكتب باللغة المحكيّة، فليكن «مطعَّماً» على الأقل ببعض الكلمات منها لإضفاء الواقعية على العمل الفني.

ولم ينجُ (الشعر)، على جلال قدره، من منافسة «الزَّجَل»، بكل لهجة من لهجات الأقطار العربية. حتى أحمد شوقي أمير الشعراء لم يجد غضاضة في أن ينظم لمحمد عبد الوهاب بعض أغانيه باللهجة المصرية، مثل (في الليل لمّا خلي)، و (بلبل حيران). وحذا حذوه بعد ذلك الأخطل الصغير أمير الشعراء الثاني، الذي نظم له أغنية كلماتها خليط من لهجة مصر ولهجة لبنان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مع أبيات قليلة بالفصحى، مثل:

شُقَّت جيوب الغزل وانبحَّ صوت القبل
على الشفاه التي وهبتُها مهجتي

أما السينما العربية، التي نشأت في مصر وظلت فترة طويلة مصريّة خالصة، فقد غلبت عليها اللهجة المصرية غلبة شبه مطلقة. أما الفصحى فلم يكن لها مكان فيها إلا في القليل النادر، ومن المؤسف أن صانعي الأفلام لم يتركوا فيها للفصحى إلا أدواراً عابرة، مثل دور (المأذون الشرعي)، أو دور (مدرّس اللغة العربية)، وحرصوا، في مثل هذه الأحوال، على أن تكون الفصحى ظاهرة التكلُّف والاصطناع، بعيدة عن الانسجام مع سياق الفلم، وذلك طلباً للتفكهة والإضحاك.

ونشأت (الإذاعة) بعد السينما ببضع سنوات، وكانت نشأتها في مصر أيضاً، فغلبت عليها اللغة المحكيّة، شأنها في ذلك شأن السينما. ثم انتقلت إلى سائر الأقطار العربية في أوقات مختلفة، واستقر الوضع في معظم الإذاعات العربية على استخدام الفصحى في نشرات الأخبار والتعليقات السياسية والبرامج الدينية،أما سائر البرامج فقد سادت فيها اللهجات المحلية بوجه عام، ولم تستخدم الفصحى فيها إلا في القليل النادر.

فلما ظهرت (التلفزة) وانضمت إلى سواها من وسائل الإعلام، وشملت بالتدريج جميع الأقطار العربية، سارت على منوال الإذاعة، فاقتصرت الفصحى على نشرات الأخبار والبرامج الدينية، وغلبت اللهجات المحكية القطرية على سائر البرامج، كالمسلسلات، والمنوعات والمسابقات وغيرها.

ولما زادت ساعات البث في محطات التلفزة، زادت الحاجة إلى إنتاج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البرامج، فزاد الإنتاج وزادت سرعته، وزاد تبادل البرامج أو شراؤها من الأقطار العربية الأخرى، فتنوعت البرامج وتزاحمت، وتبيّن للمتابعين أن لغة المسلسلات المصرية لم تعد اللغة المحكية في القاهرة وحدها، وإنما صار بعضها ينطق بلهجة الاسكندرية، وبعضها الآخر بلهجة الصعيد، ونسجت المسلسلات السورية على المنوال نفسه، فإذا بها تنقلنا من لهجة دمشق إلى لهجة حلب، أو اللاذقية، وفي بعض الأحيان تنقلنا إلى لهجة المناطق الشرقية. أما المسلسلات الناطقة باللهجة البدوية فكانت أكثر من الهمّ على القلب. لقد زاد عدد اللهجات في المسلسلات زيادة مفرطة حتى أوشك المشاهدون يتوهمون أن محطات التلفزة العربية تحولت إلى مدارس لتعليم اللهجات المحلية المختلفة!!

فلما ظهرت القنوات الفضائية كان قد رسخ في أذهان كثرة من الناس، بفعل ماتعودوا عليه، الوهم القائل بأن الفصحى لاتصلح للمسلسلات التلفزية وماشابهها من برامج، وهكذا غدت العربية غريبة في دارها، لايعرفها أهلها، ولا يأخذون بيدها، ولايقيلونها من عثرتها. على أن ظهور القنوات الفضائية نقل المشكلة إلى صعيد آخر مختلف اختلافاً كبيراً، وهذا سيأتي بيانه من بعد.

القنوات الفضائية:

تعدّ القنوات الفضائية بين أحدث وسائل الإعلام، وأكثرها قدرة على التأثير والمنافسة، فهي تزداد انتشاراً كل يوم، وتجذب إليها أعداداً متزايدة من المشاهدين على حساب وسائل الإعلام الأخرى، التي باتت قديمة بالقياس إليها، كالقنوات الأرضية، والإذاعات المسموعة، ناهيك عن وسائل الإعلام المقروءة.

والقنوات الفضائية تتفوق على غيرها من وسائل الإعلام بقدرتها على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجاوز الحدود الإقليمية، والقارات، والمحيطات، فهي يمكن أن تصل إلى أقاصي المعمورة، وهي تعدّ بذلك من أمضى أسلحة الإعلام طراً.

فإذا نظرنا، في هذه الحال، إلى القنوات الفضائية من زاوية علاقتها بالعربية الفصحى، رأينا أن القنوات الفضائية سلاح ذو حدّين، فهي إما أن تكون فرصة سانحة لاتعوَّض نغتنمها، وهذه القنوات في بدايات نشوئها وتطورها، لإعلاء شأن الفصحى، والتمكين لها من احتلال المكانة الجديرة بها في وسائل الإعلام، أو أن تكون وبالاً على الفصحى، تعلِّمنا مانجهل من اللهجات العربيّة، إذا أهملنا القضية ولم نولها ماتستحق من الاهتمام والعناية. فالقنوات الفضائية بين هذين الحدّين رهن بنا، وبما نبذل من جهد لخدمة الفصحى بتوجيه القنوات الفضائية توجيهاً مخططاً ومدروساً لهذه الغاية.

إن وسائل الإعلام الفضائية وسائل حديثة، وهي ـ مثل كل شيء في الحياة ـ مقبلة على وجوه من التطور لاحصر لها، فلنكلف أنفسنا وسعها، ولنبذل قصارى جهدنا لنجعل هذا التطور ـ بالنسبة إلى استخدام الفصحى والعامية ـ تطوراً نحو الأفضل، لاتطوراً انحدارياً يتجه بنا من الأعلى إلى الأدنى، كما حصل في وسائل الإعلام المقروءة في مصر.

ففي مصر، كانت جريدة (الأهرام) ـ على سبيل المثال، وفي العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ـ تعنى بسلامة اللغة عناية فائقة، فلا تعثر فيها على خطأ لغوي أو نحوي أبداً، وكانت في ذلك الحين تفسح مكاناً في صدر صفحتها الأولى لأحدث القصائد، تجود بها قرائح شعراء تلك الحقبة من الزمن، من أمثال أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران. وقد خطر ببالي أن أتصفح عددين متواليين من مجلة مصرية حديثة، وأقرأ عناوينها، على مبدأ أن العنوان يدل على مايمكن أن تقرأه في نص المقال،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فسجلت العناوين التالية:

١ ـ سلام ياصاحبي.

٢ ـ والحب كيميا.

٣ ـ تحب تكسب ألف جنيه في الشهر؟

٤ ـ أنا وحبيبي يانيل.

٥ ـ (بلاج) تاه ياولاد الحلال.

٦ ـ حِلمَك ياشيخ صباحي.

٧ ـ ولو كنت يوم أنساك.

٨ ـ بنت البلد راحت فين؟

٩ ـ ياريت يكون عندنا ٦٢ مليون وزير سياحة!

١٠ ـ ماذا يقول وزير السياحة في هذه الصور؟

١١ ـ (أحبَّك) في المتحف المصري.

١٢ ـ حِلِمت بأبو الهول من ٤٠ سنة.

١٣ ـ ربِّنا يشفي.

١٤ ـ وزير الأوقاف يتحدث عن الحب.

١٥ ـ أبو هيف: غرقت في شبر «دنيا».

١٦ ـ والله شبت ياعبد الرحمن.

١٧ ـ كراكون في سفينة.

١٨ ـ ست البيت وزيرة مالية.

١٩ ـ الخطّ العربي ياجماله.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠ ـ يقطع الحب وسنينه.

٢١ ـ شوف (الوشوش) واتعلّم.

٢٢ ـ حتى لاتصبح مدينة الظلام.

٢٣ ـ فيلمي وُلِد يتيماً.

٢٤ ـ أحمد مظهر: عايش لوحدي.

٢٥ ـ من القدس يبدأ السلام.

٢٦ ـ (الشنّيون) يعود على رأس حوّاء.

٢٧ ـ آدي الجمل وآدي الجمّال.

فإذا ألقينا نظرة إحصائية سريعة على هذا الجدول، ألفينا أن نصيب الفصحى من هذه العناوين هو خمسة عنوانات، هي ذوات الأرقام ١٠ و ١٤و ٢٢ و ٢٣ و٢٥، أي مانسبته ١٨,٥٪ من مجموع العناوين. ولو افترضنا أن بعض هؤلاء الكتاب ينتهجون منهج توفيق الحكيم في مسرحيته (الصفقة)، وقبلنا هذا الافتراض على سبيل التساهل، وتحرّينا عن العنوانات التي يمكن أن تقرأ بالفصحى والعاميّة على حدّ سواء، لأمكننا أن نحصي ـ تساهلاً ـ خمسة عنوانات أخرى فقط، هي ذوات الأرقام ١ و ٦ و ١١و ١٥و١٦، فيصبح مجموع نسبة العنوانات الفصيحة ٣٧٪، أما نسبة العناوين العاميّة فترتفع إلى ٦٣٪. وأما النسبة الدقيقة لهذه العناوين فهي أعلى بكثير، ذلك أنها ترتفع لتبلغ ٨١,٥٪ .

القنوات الفضائية ودورها القومي:

ليست القنوات الفضائية بأسعد حالاً من المجلة المصرية التي اقتبسنا عدداً من عناوينها. يكفي برهاناً على ذلك أن نذكر بعضاً من عناوين البرامج الثابتة في القناة الفضائية المصرية وفي قناتين لبنانيتين هما المستقبل والفضائية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللبنانية الشهيرة باسم (إل. بي.سي). فمن القناة الفضائية المصرية اخترنا:

١ ـ الفيلم إيه.

٢ ـ فزّورة الأسبوع.

٣ ـ برجك إيه.

٤ ـ فضائية كلينيك.

ومن الفضائية اللبنانية اخترنا هذه الأمثلة:

١ ـ وقِّف لَقِلَّك (مع نطق القاف همزة).

٢ ـ طالبين القرب (مع نطق القاف همزة أيضاً).

٣ ـ مين قدَّك (هنا لايكتفى بنطق القاف همزة، وإنما تكتب «قدّك» بالحروف اللاتينية هكذا: ADDAK).

٤ ـ الليلة ليلتَك: (الليلة يجب أن تنطق: الليلي).

٥ ـ ماإلَك إلا هيفا.

ومن محطة (المستقبل) الفضائية هذه الأمثلة:

١ ـ خلّيك بالبَيْت.

٢ ـ سْهار (مع تسكين السين).

٣ ـ خْيام الهنا (مع تسكين الخاء).

٤ـ إلَكْ (مع دفع أصابع المذيع العشرة إلى الأمام بحركة توحي بأنه يريد أن يفقأ عيني المشاهد).

لاأعتقد أنني بحاجة إلى بيان مدى مجافاة أسماء البرامج التي ذكرتها آنفاً للذوق العربي السليم، ومدى إساءتها للّغة العربية، لغةِ العرب القومية. لكنني سأقف وقفة قصيرة عند اسم (فضائية كلينيك)، فهو في رأيي ينطوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على أسلوب تخريبي لاينبغي أن ندعه يمرّ دون أن ننبِّه عليه.

أول مايلفت النظر في تسمية (فضائية كلينيك) أن كلمة (كلينيك) الإنجليزية، ومعناها (عيادة)، لايفهمها عامة الناس في مصر، وفهمها ينحصر في دائرة ضيّقة من المتعلمين والمثقفين. أما كلمة (عيادة)، ولاسيما إذا أضيفت، كأن تقول (عيادة الطبيب)، أو إذا وصفت، كأن تقول (العيادة الفضائية)، فيفهمها المثقفون والمتعلمون، ويفهمها عامة الناس أيضاً. فما مسوِّغ استعمال كلمة (كلينيك) الأجنبية وغير المفهومة، بدلاً من كلمة (عيادة) العربية المفهومة، والتي يستخدمها عامة الناس؟ إننا لانرى أي مسوِّغ لهذا الشغف المرضي عند بعض المثقفين في هذا القطر العربي أو ذاك باستخدام كلمات أجنبية للتباهي الأجوف بمعرفة هذه الكلمة الأجنبية أو تلك.

وأشدّ خطراً من ذلك أن في طريقة هذه التسمية (فضائية كلينيك) نهجاً تخريبياً لبنية تركيب الكلام العربي، أو لقواعد اللغة العربية، سواء أكان هذا التخريب ناجماً عن جهل أو عن سوء نيّة. ذلك أن هذه التسمية، بحسب معناها، مضاف ومضاف إليه، والمضاف يأتي قبل المضاف إليه دائماً بحسب قواعد اللغة العربية، غير أن واضع التسمية جعل المضاف إليه قبل المضاف، لأنه طبّق قواعد اللغة الإنجليزية بدلاً من القواعد العربية على هذه التسمية، التي يفترض فيها أن تكون عربية.

ومن هذا القبيل أيضاً ماتقوم به المذيعة في محطة (إل. بي. سي) الفضائية اللبنانية، التي تعلن الانتقال إلى تقديم نشرة الأخبار، فتقول دائماً: «الأخبار المحلية العربية الإقليمية والعالمية» وتنطقها باللهجة المحلية اللبنانية. ولايقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنما تطبَّق على هذا الكلام العربي، وإن كان منطوقاً باللغة المحكيّة، قواعد اللغة الفرنسية، فتحذف حروف العطف بين المعطوفات، ولاتبقي إلا حرف عطفٍ واحداً قبل المعطوف الأخير، ولو طبقت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القواعد العربية لكان حقّها أن تقول: «الأخبار المحلية والعربية والإقليمية والعالمية»، فضلاً عن أنه ينبغي لها أن تنطق هذه الألفاظ نطقاً عربياً سليماً، دون تلك الإمالة المفرطة التي تطبع اللهجة اللبنانية بطابعها الخاص.

كان يمكن لهذه الظواهر كلها أن تكون أقل خطراً على العربية لو كانت تجري على قنوات التلفزة الأرضية، لأن الدوائر التي يصل إليها بثّ هذه القنوات محدود بالقياس إلى القنوات الفضائية، التي يصل بثّها إلى كل مكان في أرجاء الوطن العربي الكبير. والواقع أن القنوات الفضائية (التي تعددت وتكاثرت، حتى أصبح لكل قطر قناة فضائية واحدة على الأقل، وحتى أخذ بعضها يبثّ برامجه من خارج الوطن العربي) قد كشفت عن حقيقة فاجعة يعرفها العرب جميعاً، لكنهم يتجاهلونها، ويدفعون بها إلى زاوية مظلمة من أذهانهم وذاكراتهم، وفحوى هذه الحقيقة المنسيَّة هو أن المشارقة لايفهمون اللهجات المحلية التي يتكلمها المغاربة، والعكس صحيح أيضاً. فلا وسيلة للتفاهم بين أبناء الشعب العربي في جميع أقطاره إلا اللغة العربية الفصحى، فهي العروة الوثقى والرابطة المتينة التي تحضن أبناء العروبة وتضمّهم إلى صدرها، فتجعل منهم قوميّة عربيّة، تفرض على العدوّ قبل الصديق أن يعترف بهم أمّة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج.

وبعد هذا كله أليس من حق كل عربي مخلص لقوميته، غيور على عروبته أن يقف موقف المعارضة من كل ماينتقص من مكانة العربية الفصحى؟ بل أليس من حق كل عربي أن يرى في كل سياسة إعلامية تغلِّب العاميّة على الفصحى، ولاسيما في القنوات الفضائية، ضرراً فادحاً وأذى بالغاً يلحق بآصرتنا المتمثلة في اللسان العربي الواحد، الذي يجب أن ندافع عنه ونحميه، كما ندافع عن الأرض، وكما نحمي العرض؟

إن أي تشويه يلحق بالعربية على القنوات الفضائية هو أشدّ خطراً،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأفدح أثراً من أي تشويه مماثل يقع في صحيفة، أو جريدة، أو مجلة، أو كتاب، لأن هذه كلها موجهة إلى جمهور من الناس مؤلف من مثقفين ومتعلمين، وهؤلاء، بوجه عام، قادرون على التصويب. أما برامج القنوات الفضائية فتصل إلى الناس أجمعين، وهم، بوجه عام، غير قادرين على التصويب، ومن كان قادراً على ذلك لايسعفه الوقت، فبعد انتهاء البرنامج يكون قد سبق السيف العذل.

تعزيز الفصحى أم مكافحة العامية؟

لاأرى أن مكافحة العاميّة أو السعي إلى القضاء عليها هدف واقعي، بل هو ضرب من المحال. فنحن لاننفرد دون شعوب الأرض بأن لدى عامة الناس عندنا لغة محكيّة تختلف عن لغة الثقافة والأدب، وإنما لكل شعب لهجة محليّة أو لهجات. ففي فرنسا ـ على سبيل المثال ـ لغة محكيَّة من سماتها اجتزاء الكلمات اجتزاء كبيراً. فكلمة لطيف أو محبَّب (Sympathique)، تصبح على ألسنة العامة (Sympa) فقط. وكلمة (Télévision) يختصرها العامّة اختصاراً شديداً، فتصبح (Télé)، لاأكثر. والفروق بين الفرنسية الأصيلة وفرنسيَّة العامّة تتسع وتزداد كل يوم، حتى لقد أصبح من المألوف جداً أن تشاهد فلماً فرنسياً على شاشة محطة (T.v.5) الفرنسية، وقد ذُيِّلت صور الفلم في أسفل شاشة التلفاز بكتابة فرنسية، هي تكرار أو إعادة لكلام الممثلين الذي قد لايفهمه المشاهدون بفعل اجتزاء الكلمات أو سرعة النطق، فكأن المحطة تترجم الفلم الفرنسي إلى الفرنسية.

واللغة الإنجليزية تقابلها لغة محكيَّة، ويرى الفرنسيون أن كلام الأمريكيين في الولايات المتحدة كله ليس إلا اللهجة العامية الانجليزية. والمجمعيون أعضاء الأكاديمية الفرنسية في فرنسا حريصون دائماً على الدفاع عن اللغة الفرنسية السليمة دفاعاً لايعرف الكلل، وهم ينشرون مع بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغيارى الآخرين من غير أعضاء المجمع زاوية ثابتة عنوانها (الفرنسية السليمة)، وذلك في صحيفة (لوفيغارو) أوسع الصحف الفرنسية انتشاراً. وإذا كانت حماسة هؤلاء للحؤول دون تسلل كلمة إنجليزية إلى الفرنسية تتفاوت حرارتها بتأثير عوامل مختلفة، فإن حماستهم تصل إلى الذروة عندما يكون الموضوع متصلاً بكلمة «أمريكية» ـ وهي بمثابة اللغة العاميّة من الإنجليزية ـ تحاول أن تتسلل إلى الفرنسية السليمة، فتفسد جمالها وأناقتها الأسلوبية ودقتها في التعبير.

أما نحن العرب، فإن لدينا بدل اللهجة لهجات، عددها هو عدد الدول العربية على الأقل، إذا تجاوزنا تعدد اللهجات أحياناً في الدولة العربية الواحدة. وهذه اللهجات كلها تدّعي وصلاً بليلى، فتدّعي أنها أقرب إلى الفصحى من غيرها، وكل لهجة منها لاتصلح للتفاهم بين الناس إلا في نطاقها الجغرافي المحدود. فإذا بقيت اللهجات المحكية في مكانها هذا ولم تتجاوزه إلى التطلع إلى احتلال مكانة الفصحى، فلا ضير منها، ولكن الخطر كل الخطر كامن في أن القنوات الفضائية يمكن أن تكون وسيلة لانتشار اللغات المحكيّة، أو سبيلاً لتخريب الفصحى، وهذا ماينبغي لنا أن نقف في وجهه ونحول دونه بكل وسيلة متاحة.

كان أحمد شوقي أمير الشعراء يقول: «لاأخشى على الفصحى إلا من بيرم»، يعني بيرم التونسي، الذي كان ينظم كلمات باللهجة المصرية، فتنتشر انتشار النار في الهشيم لطلاوتها وخفّة ظلها، أو لأنها تحسن التعبير عمّا في قلوب الناس على الصعيد السياسي، كهجائه للملك فؤاد، أو لأن الملحنين كانوا يتلقفون ماينظم فتنطلق به حناجر مشاهير فنّ الغناء، ثم تردده ألسنة العامة من بعد.

والحق أن أي لهجة محكيّة من اللهجات العربيّةلاتخلو من خطر على الفصحى ينبغي لنا أن نكون يقظين لمواجهته، غير أن اللهجة المصرية هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأشدّ خطراً من اللهجات العربية بأسرها، وذلك إعمالاً لمنطق (شوقي). فاللهجة المصرية هي الأوسع انتشاراً، يتكلمها ستون مليون مصري، ويفهمها كل العرب، ويستطيع معظمهم أن يتحدث بها بدرجات متفاوتة من الإتقان. والدعوة إلى اعتماد اللهجة المصرية بدلاً من الفصحى موجودة، كامنة لاتغيب وتختفي إلا لتطلّ برأسها وتظهر مرة أخرى، وأقرب دليل على ذلك مانشرته صحيفة (الخليج) في عددها ذي الرقم (٦٧٦٠) الصادر يوم الجمعة في ٢١ / ١١ / ١٩٩٧، وهو تصريح لأستاذ مصري هو الدكتور فوزي قطب عميد صيدلة عجمان، يقول فيه: «... فمثلاً سوريا، وهي الدولة العربية الوحيدة، التي تدرس الطب والصيدلة باللغة العربية، لايستطيع المرء فهم كل شيء في كتبهم نتيجة الإغراق الشديد في اللهجة العامية، لذا من الضروري توحيد اللهجات العربية، فإما نستخدم اللغة الفصحى وكلنا يعرفها، **أو اللهجة المصرية، التي يفهمها كل العرب** (!!)».

أما اللهجة اللبنانية فهي أقل خطراً من المصرية لأنها أقل انتشاراً ولم يألفها العرب في مختلف أقطارهم بقدر ماألفوا اللهجة المصرية. غير أنه ينبغي لنا أن ننبّه على أن برامج الفضائيات اللبنانية شديدة الجاذبية، فهي تستقطب جمهوراً كبيراً، ولاسيما في صفوف الأجيال الجديدة، وهذا خطر داهم، لابدّ من علاجه.

الفصحى صالحة لبرامج القنوات الفضائية:

الحل الجذري هو في اعتماد الفصحى في برامج القنوات الفضائية، لانستثني برنامجاً منها، حتى برامج الأطفال والإعلانات، وذلك وفق خطة تدريجيّة مدروسة ومبرمجة. ينبغي لنا أن نلقي من النافذة الوهم القائل بأن الفصحى غير صالحة إلا لبرامج محدودة. فلغتنا الفصحى صالحة لكل البرامج. وإليكم أدلتي على ذلك:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ لغتنا الفصحى يفهمها حتى الأطفال. إن برنامج (افتح ياسمسم) الشهير، الذي أنتج في الكويت، ونهض به نفر من أبناء سورية العربية، هو دليل قاطع على أن الفصحى يفهمها الأطفال ويتعلمونها، هذا إذا أحسنّا التعامل معها. فإذا سقط أي برنامج للأطفال ناطق بالفصحى فسقوطه إنما هو سقوط فني لاعلاقة له باللغة. ومن الأمثلة على برامج الأطفال الناجحة برامج الرسوم المتحركة المترجمة أصواتها إلى العربية. إن من يرى الأطفال وهم يشاهدون هذه البرامج يدرك إدراكاً واضحاً أن الفصحى ليست عقبة أمامهم أبداً.

٢ ـ لغتنا الفصحى صالحة للمسلسلات. والأدلة كثيرة، ففي الستينات كانت سوق الإنتاج التلفزي في لبنان مزدهرة، وكان لبنان يصدِّر إنتاجه إلى الدول العربية الأخرى، ولاسيما دول الخليج، وقد عمد المنتجون إلى إنتاج الكثير من مسلسلاتهم بالفصحى، إدراكاً منهم أن اللهجة اللبنانية لاتنافس اللهجة المصرية. وفي تلك المرحلة غمر الإنتاج اللبناني الأسواق العربية كلها. ومن الأمثلة على نجاح الفصحى، في هذا المجال، المسلسلات الدينية والتاريخية، ثم مسلسلات (الفانتازيا) بعد ذلك. ولعل الجميع يذكرون مسلسل (الجوارح) الناطق بالفصحى، الذي كان يفرغ عند عرضه شوارع دمشق من المارة. وغير هذا المسلسل كثير. ولا ينبغي لنا أن ننسى المسلسلات الأجنبية التي تعالج بالبِدال (الدوبلاج) وبالفصحى، فهذه كما يعرف الجميع تجتذب دائرة واسعة من المشاهدين. وأرجح الظن أنها ماكانت لتجتذب هذا الحشد من المشاهدين لو أن «بدال» أصواتها كان بإحدى اللهجات المحكية.

٣ـ ولغتنا الفصحى صالحة لمجال الإعلانات أيضاً. إن الإعلان عن السلعة باللهجة العاميّة لا يروِّج هذه السلعة إلا في السوق المحليّة. أما القنوات الفضائية فتفتح أمام المنتج أسواقاً فسيحة على امتداد الوطن العربي من المشرق إلى المغرب. ولا ريب في أن هذا المنتج سيكون ضيّق الأفق إذا روَّج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لسلعته بإعلان ناطق بلهجة الأحياء الشعبيّة في دمشق، لأنه بذلك يخسر الترويج لبضاعته في أسواق الدول العربية الأخرى. وتتجلى هذه الحقيقة أمام من يتابع الإعلانات في محطة الشرق الأوسط (M. b. c.)، وهي محطة تلفزة عربية تبثّ برامجها من لندن. لقد كانت الإعلانات في هذه المحطة خليطاً بعضها بلهجة عاميّة وبعضها بالفصحى، ثم لمس المعلنون أن الفصحى مفهومة في كل قطر من الأقطار العربية، فإذا بهذه المحطة تتخلص من الإعلانات العامية بالتدريج، حتى إنك لا تكاد تعثر بين إعلاناتها اليوم على إعلان واحد بالعامية.

إذن فلتخض القنوات الفضائية تجربة الفصحى بلا خوف ولا وجل، فالمستقبل ـ إذا أقدمنا ـ هو للفصحى بلا منازع.

الإعلام السوري ودوره القومي:

ولكن من يبدأ ؟ من يمكن أن يأخذ على عاتقه هذه المهمة؟ من لهذه الرسالة القومية ينهض بها ويحمل لواءها ويدعو إليها في المنتديات الإعلامية العربية، وفي رحاب مؤتمرات وزراء الإعلام العرب؟

إن سورية العربية، التي يعرف القاصي والداني أنها قلب العروبة النابض، والتي لم يعد خافياً على أحد مدى شغف رئيسها وقائدها العربي حافظ الأسد باللغة العربية وحبّه إياها وتعلقه بها، والذي يلمس الجميع مدى حرصه على الخطابة بالفصحى، كتابة أو ارتجالاً، والذي يلمس الإعلاميون مدى متابعته الشخصية للهنات اللغوية التي يقعون فيها؛ إن سورية وقائدها هما معقد الأمل في حمل هذه الرسالة القوميّة الرامية إلى تعزيز الفصحى وحمايتها صوناً للعروة الوثقى التي تجمعنا نحن العرب جميعاً في حماها، وحفاظاً على شرف التاريخ العربي أن يصير ذكرى من العاديات.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net